

## عرض كتاب:

### بولس: سيرة حياة بقلم ن. ت. رايت نيو يورك، هاربر وان، ٢٠١٨، ٤٦٥ صفحة

ن. ت. رايت كاتب غزير الانتاج وكتب عدد من الكتب عن الرسول بولس، التي تضمنت "ذروة العهد" (١٩٩١ / ١٩٩٢)، "بولس وأمانة الله" (٢٠١٣)، و"مترجمو بولس الأواخر" (٢٠١٥). بالإضافة لما سبق، فهو كتب أيضًا سلسلة تفسيرية حول العهد الجديد، والتي اعطته فرصة كبيرة لمناقشة رسائل بولس بالإضافة لحياته أيضًا. في مقدمة كتابه الأخير، "بولس: سيرة حياة"، يلاحظ رايت أن نوع السيرة الذاتية يسمح له بأن يطرح أسئلة مختلفة عن بولس وأنه في السيرة الذاتية "نبحث عن الإنسان وراء النصوص". وحتى مع إعطاء رايت كل الفرص الممكنة، لا يبدو لي أنه فتح آفاقًا جديدة بشكل كبير في جهوده الأخيرة. ومع هذا، فاستمتعت تمامًا بهذا الكتاب وأوصي جدًا بقراءته كمقدمة عامة لبولس وكذلك لفكر رايت.

باستثناء يسوع، ليس هناك من تم تناول حياته بتفاصيل أكثر في العهد الجديد مثل بولس الرسول. وهذا ليس فقط بسبب تعامل لوقا مع بولس في أعمال الرسل ولكن أيضًا بالنسبة للثلاث عشرة رسالة التي كتبها بولس في العهد الجديد، والتي أخبر رايت القارئ عنها إنها نقل عن ثمانين صفحة في الترجمات القياسية الحديثة. وهي أقل بشكل ملحوظ، كما شرح رايت أنها: "تكاد تكون أقل من أي من حوارات افلاطون أو اطروحات أرسطو،" إلا إنه من المؤكد أن هذه المجموعة الصغيرة من الأعمال نتج عنها تفاسير أكثر، وعضات ومنتديات أكثر، ومزيد من الدراسات والأطروحات، أكثر من غيرها من كتابات العالم القديم. يسأل رايت سؤالين كبيرين عن بولس. أولاً، كيف أصبح هذا الكاتب اليهودي من القرن الأول بتلك الأهمية في عالم الأفكار والدين؟ وثانيًا، ما هي طبيعة تحول/ اهتداء بولس في الطريق إلى دمشق وكيف أثر ذلك على خدمته فيما بعد؟ هذه الأسئلة تعطي رايت فرصة لاستكشاف حياة بولس، وتقديم توقعات بخصوص الحقائق الرقيقة ولكن تبقى في حدود ما يسمح به السياق التاريخي بشكل معقول.

يبدأ رايت بالقول إن بولس كان فريسيًا وكانت صفته المميزة أنه "غيور"، مثل فينحاس في العهد القديم الذي ألقى الرمح على إسرائيلي هائم على وجهه وقتاة مؤابية، وقتل الاثنان. هذا جعل فينحاس بطلاً امتدحه الله وعرفه بأنه "بر". وبنفس الطريقة، غيرة إبراهيم كما ظهرت في استعداده ليذبح ابنه إسحق "فحسب له... برًا". كما كانت غيرة إيليا في ذبح أنبياء البعل وغيره يهودا المكابي في قيادة ثورة ضد انطيوخوس أبيفانيوس. رغم هذا، اتخذ بولس هذه الغيرة التقليدية تجاه إله العهد القديم وأعاد توجيهها نحو يسوع باعتباره مسيا و"الخبر السار" للملكوت الذي نادى به.

ومع اكتشافه لموضوع جديد لغيرته، انتهت حياة بولس كمضطهد، وبدأت حياته كموضوع للاضطهاد. وكزعيم في حركة المسيح، تعرض للهجوم من قبل اليهود بصفته خائن ومن قبل الأمم بصفته متمرّد. رغم كونه معارض واضح لديانة الأمم، لم تكن نيته أبدًا التنصل من "اليهودية" أو اختراع ديانة جديدة اسمها "المسيحية". فبولس، الذي دائماً اعتُبر نفسه يهوديًا، رأي المسيح كتحقيق لأمال إسرائيل. استغرقت عملية إعادة

تفسير اليهودية التقليدية في ضوء حياة المسيح وقتاً، والتي أوحى بها رايت أنها حدثت الى حد كبير خلال فترة الثلاث سنوات التي قضاها بولس في الجزيرة العربية بعد اختباره في الطريق إلى دمشق.

رغم دراسة بولس لليهودية باعتباره فريسي في أورشليم، وكونه واحد من أعظم العلماء اليهود في وقته، فهو كان أيضاً يشعر بالارتياح نحو الفلسفة اليونانية المعاصرة. فكان على دراية، كما يشرح رايت، مع الرواقية والأبيقورية، وهما النظامان الفلسفيان الرئيسيان في ذلك الوقت. وكان يستطيع أن يقتبس من فلاسفة تلك الأنظمة. يقول رايت إنه كان يدرك سقطاتهم، ولكنه أيضاً لاحظ أنهم "يستطيعون وبالفعل طمحو أن يعيشوا حياة حكيمة وجيدة." وفي فيلبي، دعا الكنيسة إلى النظر إلى "كل ما هو حق، كل ما هو طاهر، كل ما صيته حسن." وهكذا بالنسبة لبولس، يبدو أن رايت كان يقول عنه إنه لم يكن متعصباً دينياً قليل التعليم. بل، النقيض تماماً.

رايت كاتب السيرة يتناول هذه القضايا على أن بولس كان متزوجاً، وهو ما توقعه اليهود الأرثوذكس في ذلك الوقت. وأعطى أربع احتمالات: لم يتزوج أبداً، أو تزوج ولكن زوجته توفيت مبكراً، أو أنهت زوجته الزواج بعد عودة بولس من دمشق بالتزام ديني جديد وتغيير جذري. أو—الرأي الذي فضله رايت—عندما عاد بولس الى طرسوس كملتزم جديد نحو المسيحية، أنهت خطيبته أو أهلها الخطوبة. كل هذا، بالطبع مجرد توقعات، لكنني أقدر طرح رايت للاحتتمالات المتعددة.

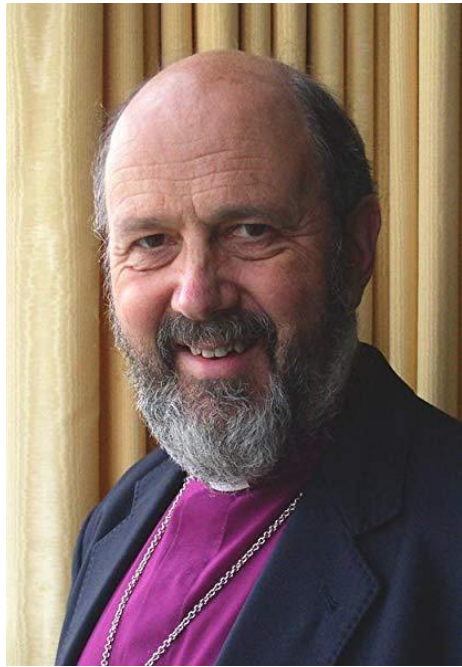
حرص رايت على أن يعرض الخلفية الجغرافية والثقافية حتى يفهم القراء رحلات بولس. ويصف أيضاً سياسة الكنيسة—والهيمنة على "الأعمدة" في أورشليم، والانقسام بين اليهود ومسيحيي الأمم—وحريص بأن يصف السياق الثقافي والسياسي للمدن الرومانية التي قام بولس بزيارتها. مثلاً، كتب ليصحح خطأ شائع حول أعمال ١٧، بحجة أن أريوس باغوس... إلى علاقاته الشخصية كمثل التي كانت له مع برنابا، وبطرس، ومرقس يوحنا، وتيموثاوس، وغيرهم. ولعلها الأكثر أهمية بالنسبة لدارسي الكتاب المقدس، وشرح رايت بعناية كل من رسائل بولس، مشيراً الى أهدافها بالإضافة للسياقات الشخصية، والسياسية، والدينية التي ظهرت بسببهم.

تناول رايت أيضاً الأسئلة حول الكتابة. هل كتب بولس بالفعل كل هذه الرسائل أم أن البعض تم كتابتها بواسطة آخرين؟ بصفة عامة؟ يقول، نعم، بولس كاتب الرسائل التي نُسبت اليه، فملاحظة الاختلافات في طريقة الكتابة في الرسائل المتعددة لا بد أن تكون متوقعة نظراً للظروف والأوقات المختلفة التي كتب فيها بولس. أيضاً، لاحظ الموضوعات العلمية، مثال البروتستانتية الليبرالية الألمانية في القرن التاسع عشر، التي تأتي وتذهب. وبالتالي في القرن الماضي، تم رفض نسبة كتابات بعض الرسائل لبولس والتي أصبحت مقبولة بشكل عام اليوم. ومع أن الكثير من العلماء يختلفون معه، إلا أن رايت يجادل بأن بولس كتب كل من أفسس وكولوسي، لكنه ليس مؤكداً بصدد الرسائل الرعوية: تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس.

كما هو شائع في كتب رايت، يشير إلى أن مجرد "الذهاب الى السماء" ليس قلب رسالة الإنجيل. فبالنسبة له، هذا تشويه حدث بالقرون الوسطى لرسالة يسوع عن الملكوت، والتي تُحول الانتباه من الأرض الى السماء والجحيم. الإنجيل لم يُكتب أيضاً ليجيب عن سؤال مارتن لوثر: "كيف أجد إلهاً مُنعماً؟" فالإجابة لهذا السؤال من الممكن إيجادها في كتابات بولس، لكن إذا كان هذا كل ما نسعى اليه، فقد فقدنا الهدف. لأن بالنسبة لبولس، كما وصف رايت، الإنجيل يقدم التحرر للبشر الذين يسعون للمشاركة في "عملية الانقاذ" الإلهية للكوكب بأكمله. بالنسبة لرايت، الخبر السار يتضمن الخلاص الشخصي لكن أيضاً الأكثر من ذلك: استعادة الخليقة التي تئن للتجديد، وزواج السماء مع الأرض في الدهر القادم، حيث السماء "تستعمر" الأرض. أطلق يسوع مشروع الملكوت هذا خلال حياته، لكنه لن يتحقق بشكل كامل حتى الدهر القادم. اعتنق بولس الجوانب الفردية والمجتمعية الحالية لتعاليم يسوع بالكامل. مع أن المسيحيين أكدوا كثيراً على السمات الفردية والمستقبلية

للملكوت؛ بحسب رايت، بولس آمن بأن ملكوت الله "له علاقة بتأسيس "بوليس" جديد، أي مدينة جديدة أو مجتمع جديد، وسط النظام الموجود."

بالنسبة لبولس، كان هذا أمر عملي يتعلق ببناء جماعات جديدة، لكنه كان أيضًا أمر روحي يتعلق بالتغلب على قوات الظلمة، حيث بدا أن بولس واجه "السلطات البشرية [التي كانت] تتصرف فقط كواجهة للقوى الأخرى التي ستهاجم من خلالها." يعلق رايت عن مواجهة هذا الواقع الروحي المظلم، قائلاً: "شعر (بولس) بها، واشتمها، نفحة الكبريت التي تحيط الوجوه الصعبة للقضاة، والبهجة الشيطانية للحراس المكلفين بجلد أو ضرب سجينهم الجديد، وربما حتى الوجوه المذهلة للأشخاص الذين اعتقدتهم أصدقاء، لكن تبين أنهم أعداء."



كان رايت أيضًا مهتمًا باللغة. فأباطرة الرومان في وقت بولس تم استخدام مصطلحات يونانية مثل إفانجليا (الخبر السار)، وكيريوس (رب)، وسوتير (مخلص) للإشارة إلى الإمبراطور وحكمه. لكن استخدم بولس هذه الكلمات نفسها، الخبر السار، والخلص الذي قدمه يسوع، بشكل مناقض ومعارض للسيادة وللتأكيدات في عالم السياسة من قبل قيصر. بخلاف "إلهاء وخداع الخطاب الإمبراطوري"، قدمت رسالة بولس حقيقة الجماعات الجديدة المتجذرة في الأخلاق والمحبة التي قدمت المساواة الروحية، وإعلاء شأن النساء، ودعا ضمناً إلى الإصلاح الأخلاقي—إصلاح سيأتي لاحقاً من خلال المستشفيات، والتعليم ورعاية الفقراء. في سياق الإمبراطورية الرومانية، يجب اعتبار رسالة بولس الخاصة بالأخبار السارة تخريبية بعمق.

بولس، الذي من الواضح أنه كان يستمتع باللغة، كان يستطيع كتابة الشعر، وتوظيف صلوات عبرية ولغة تصلح للاستخدام المسيحي، وتوظيف الخطابية للتلميح لنقاط متوارية. لاحظ رايت أن

بولس في كورنثوس الأولى إدعى إنه يقدم رسالة بلغة بسيطة بينما، من المفارقة وبلا شك بابتسامة ساخرة، استخدم "خطابة ذكية" حتى يوضح وجهة نظره (١ كو ١: ٢٢-٢٥). حيث وصف بولس في كورنثوس الثانية ١١: ٢٣-٣٣ محنته كرسول بمثابة محاكاة ساخرة للشرف الروماني honorum (مسار الشرف). واعتبرها رايت "كواحدة بالفعل من أفضل وأطرف رحلات الخطابة في أي مكان في "العهد الجديد" حيث إنه يتحول من الشرف honorum للعار pudorum (مسار للعار) (٢ كو ١١: ٢٣-٣٣).

من المعتقد بشكل عام أن بولس كان معروفاً في الأصل باسمه العبري شاول، وأنه في السياق اليوناني الروماني قام بتغييره إلى بولس لكي يتناسب معه. ومع هذا، قدم رايت سبباً آخر. لاحظ أن شاول (Saulos) في كتابات أريستوفان، "صفة بمعنى تنميق" أي رجل يسير بطريقة مبالية مبالغ فيها مما أشار إلى أن بولس غير اسمه أيضًا لتفادي استهزاء لا مفر منه.

رغم كونه باحثاً دقيقاً، فإن لغة رايت نفسها متضعة وغالبًا ما تكون عامية. وتشرح لما كان بولس قاسياً ومباشراً في مواجهة بطرس فيما يتعلق بتغيير سياسته بشأن العلاقة مع الوثنيين في أنطاكية (غلا ٢: ١١، ١٤)، قال رايت: "إذا رأيت صديقاً على وشك الخروج، غير مدرِكاً أنه متجهًا نحو طريق زحام مروري قادم،

ويقود مجموعة معه، فإن أكثر أفعال المحبة هي أن يتم الصراخ لهم بالتوقف في الحال. هذا بالضبط ما فعله بولس."

ترجمات رايت تكون في بعض الأحيان متواضعة ولكنها دائماً تصيب الهدف. وفيما يلي بعض الأمثلة على هذا. يستخدم لوقا كلمة *paroxysmos* لوصف الخلاف بين بولس وبرنابا حول يوحنا مرقس، والذي ترجمه رايت على أنه "ملتهب، فظيع، ومرير". لكن يصف رايت أداء بولس في أريوس باغوس، أنه كان بمثابة شخصية "شيرلوك هولمز وهو يشرح لرؤساء الشرطة المتحيرين أنه بينما كانت نظرياتهم المختلفة بخصوص الجريمة منطقية بالنسبة لهم، إلا أنه هناك إطار عام مختلف، كان في متناول أيديهم طوال الوقت ولكنهم لم يلاحظوه أبداً، والذي من شأنه أن يحل الأمر برمته." ويصف جوانب الملكوت الحالية وليست بعد بأنها "شكل من أشكال إرهاق رحلة السفر اللاهوتية الطويلة." ويوضح أن المسيحيين يعيشون في وقت فيه العالم مظلم وفي نفس الوقت في منتصف النهار بالفعل.

يقدر رايت بولس بشدة في العديد من المستويات، ولكن بالأخص كونه لاهوتي نظامي وعملي. يمكن بالتأكيد رؤية هذا في رسائله إلى رومية، وكورنثوس، وأفسس. ويقول عن رومية ٨ "إنها الأثري، والأعمق والأكثر ثباتاً بالنسبة لعظم قوتها في أي موضع في أدب الحركة المسيحية المبكرة، وربما في أي موضع آخر أيضاً." يقدر رايت بولس أيضاً كرجل هائل الشجاعة، والذي واجه على سبيل المثال، الضرب في المجامع اليهودية، الأمر الذي كان يمكن تجنبه بسهولة.

ومع هذا لا يكتب رايت سير قديسين. فبالنسبة له، بولس ليس عديم المشاعر. لاحظ رايت أن بولس بإمكانه أن يتخذ قرارات متسرعة، وأن يتصرف بعصبية، ويبدو "متسلطاً، و"غير لبق". يكتب رايت إننا اليوم قد نشير إلى بولس كصديق "كثير المتطلبات." مع أنه معجب بلغة وخطاب رسالة كورنثوس الأولى، إلا أنه يعترف بأن رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس "متحيرة جداً." وعندما يحتاج بولس إلى الحديث عن جمع التبرعات، وهو موضوع غير مريح بالنسبة له، فإنه يستخدم "لغة يونانية ضعيفة ومهلهلة."

ومع هذا، يستنتج رايت أن بولس كان "واحدًا من أنجح المفكرين على مر العصور،" والسبب هو طاقة بولس، وأسلوب مواجهته، ورسائله المتعددة الأوجه. والأهم لبقاء بولس هو أنه كان كاتب رسائل لجميع الظروف. كان "مُصلحًا شابًا" في غلاطية، وهاجم غير المؤمنين، وكان راعياً مُنتقداً في كورنثوس الثانية، حيث واجه تعقيدات العلاقات بين البشر. وكان اللاهوتي بامتياز في رومية، واضعاً الإنجيل بكل تعقيداته وقوته بالطريقة التي بها سيستمر في إلهام حركات جديدة في الكنيسة حتى أواخر القرن العشرين.

رغم أن رايت مهتم بصفة خاصة ببولس كلاهوتي، إلا أنه يعترف بأن الإنجيل انتشر بواسطة "الكنائس المحلية والجماعات التي كانت تعيش وصايا الإنجيل." ومع هذا يسارع رايت ليضيف أن مفكري الكنيسة لهم أهمية أيضاً لنجاحها. يكتب أن "اللاهوت،" هو "العمود الفقري للكنيسة السليمة." في الجيل الذي تلا قيامة يسوع، ساعد بولس في تدعيم هذا العمود الفقري، والذي سيرجع كل جيل لاحق إليه بحثاً عن الإلهام والتوجيه. "إنجازته الفكري الشاهق، هو رؤيته اللاهوتية للإله الواحد التي أعيد تشكيلها حول يسوع والروح واضعاً في الاعتبار العالم الأوسع للفلسفة، سيوفر إطاراً قوياً وضرورياً للجميع."

يتمتع رايت بهبة نادرة تتمثل في قدرته على شرح الأفكار المعقدة والمواقف التاريخية بلغة بسيطة ولكن مؤثرة. عندما تنقص الأدلة، فإنه لا يتراجع عن الافتراض أو تقديم تفسيرات متعددة، ثم اقتراح الخيار الأفضل. نظراً لأن رايت يتسم بالشفافية بشأن خياراته وأسبابها، فلا يشعر القارئ أبداً بأنه تم التلاعب به. على

العكس، يأتي رايت بمثابة مرشد سياحي أمين للعالم المسيحي المبكر، مرشدًا ممتلئ من الحس السليم، والحقائق المثيرة، والتفاصيل الدقيقة، والنتيجة صورة للرسول بولس غنية بالمعلومات وملهمة، وقابلة للقراءة بشدة.

مايكل پاركر  
أستاذ تاريخ الكنيسة  
كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة